وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر – بسكرة –
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية
شعبة: الانثروبولوجيا

دروس في :

منهجية البحث الانثروبولوجي وادواته

موجهة الى طلبة السنة الثانية ليسانس تكوين توجيهي في الانثروبولوجيا

الجزء الثاني (السداسي الثاني)

من اعداد:

الدكتور: **الطيب العماري**

السنة الجامعية ***2020 – 2021***

خطـــــة البحـــــث (الجزء الثاني):

- خطوات البحث الأنثروبولوجي وأدواته.

1- العمليات التحضيرية للبحث.

2- الدراسة الميدانية وأدوات البحث الأنثروبولوجي:

أ- الملاحظة بالمشاركة.

ب- طريقة المقابلة.

جـ- طريقة مدخل تاريخ الحياة.

د- طريقة الاختبارات النفسية.

هـ- طريقة المقارنة.

IV- الصعوبات التي تواجه البحث الأنثروبولوجي:

1- صعوبات ترتبط بالاختفاء التدريجي للمجال التقليدي للبحث الأنثروبولوجي.

2- صعوبات ترتبط بطبيعة المنهج الأنثروبولوجي.

3- صعوبات ترتبط بشخصية الباحث.

4- صعوبات ترتبط بتطبيق الطريقة الأنثروبولوجية في دراسة المجتمعات المعقدة.

V- الخاتمـــــــــة.

VI- قائمة المراجع.

- خطوات البحث الأنثروبولوجي وأدواته:

1- العمليات التحضيرية للبحث:

أ- تحديد موضوع الدراسة: أو ما يسمى بمشكلة البحث وعند اختيار موضوع البحث يجب أن يراعي الباحث تحديد موضوع الدراسة بلغة واضحة تماما، ذلك أن اللغة التي يصاغ بها موضوع البحث كفيلة بإبراز النقاط الهامة التي يجب أن يتناولها الباحث بجانب أنها تمكن الباحث من استنباط نقاط اهتمام مختلفة متتالية وبالطبع فإن على الباحث أن يبين أهمية مشكلة بحثه العلمية، ويبرز الجدوى من دراسة هذه المشكلة، كما أن على الباحث أن يدعم رأيه ببعض الأدلة والشواهد، كأن يوضح ما يمكن أن يقدمه بحثه من حلول للمشكلة، أو ما يقدمه من إضافات علمية، وبعد اختيار موضوع البحث يجب أن يعمد الباحث إلى اختيار مجتمع البحث وهناك من الباحثين من يفضل اختيار مجتمع البحث أولا وانطلاقا منه يمكن أن نحدد موضوع البحث.

ب- قراءة ما كتب عن موضوع البحث ومجتمع الدراسة والهدف من هذه القراءات التي كتبت حول مجتمع الدراسة تؤدي إلى تطوير فروض بحثه وتحديد نقاط الاهتمام في دراسته.

جـ- تحديد المداخل الأساسية التي سوف يستخدمها في دراسته لتحليل الظواهر المدروسة، والنظرية التي تشكل إطاره المرجعي في عملية التفسير (سبق التطرق إليها بالتفصيل). [1]

2- الدراسة الميدانية وأدوات البحث الأنثربولوجي:

لقد وصفت أقوال الرحالة والمستكشفين الأوائل وجنود الاستعمار الإنسان البدائي بالمتوحش أو الحيوان الفظ، ثم جاءت بعض التقارير على العكس من ذلك تماما تصفه بالإنسان الرقيق المهذب الذي يعيش على الطبيعة في رخاء وسلام، ومن هنا يظهر التناقض الكبير في الوصف، ويعود هذا إلى أن هؤلاء الأوائل من المستكشفين وحتى الباحثين لم يكونوا مزودين بالقوانين والأدوات العلمية الضرورية والحقيقية لدراسة ثقافات ومجتمعات هذه الشعوب البدائية. [2]

ومع نهاية القرن التاسع عشر بدأت تظهر إمكانية تطبيق المنهج العلمي في الأبحاث الأنثربولوجية عن طريق الدراسات الميدانية وتتمثل في ملاحظة الواقع الاجتماعي مباشرة أي أن يقوم العالم نفسه بجمع المعلومات بطرق بحث معينة ثم يقوم بتحليلها وبالتالي يستطيع أن يتأكد من استخدام المنهج العلمي في جمع المعلومات ويعتمد الأنثربولوجيون في تطبيق المنهج العلمي أثناء دراساتهم الميدانية على طرق بحث معينة أهمها ما يلي:

أ- الملاحظة بالمشاركة: وتتلخص في أن يشارك الباحث في الأنشطة الاجتماعية التي يمارسها أعضاء المجتمع قيد البحث ومن خلال تلك المشاركة يدرس ثقافتهم ويقابل الباحث في بداية دراسته الميدانية مشكلة كبيرة وهي (الدور) الذي يجب أن يؤديه لكي يحصل على معلومات موضوعية، وترجع أهمية تلك المشكلة إلى الحقيقة القائلة بأن تواجد الباحث في مجتمع أو قبيلة ما تدفع الأفراد موضوع الملاحظة إلى تغيير سلوكهم العادي أو إلى الإدلاء بأقوال لا تعبر عن الواقع وذلك لشعورهم

---

[1]- عبد الله عبد الغني غانم: طرق البحث الأنثربولوجي، الطبعة الأولى المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2004، ص ص 97 – 101.

[2]- إ. يقنز بريتشارد: الأناسة المجتمعية وديانة البدائيين في نظرية الأناسيين، ترجمة حسن قبيسي، الطبعة الأولى، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – 1986 ، ص 85.

بأنهم خاضعون لملاحظة الغير ولذلك على الباحث أن يقوم بدور ما في المجتمع بحيث يترتب عليه أن يقبله أفراد المجتمع وكأنه واحد منهم وبالتالي يكتسب ثقتهم ويبدد الشكوك حول مهمته وإبعاد شعور العداء الذي يواجه الغريب عندما يدخل مجتمعا ما لأول مرة، وهكذا يذهب الأنتربولوجي إلى المجتمع الذي يدرسه ليعيش فيه فترة من الزمن (لا تقل عن ستة أو ثمانية أشهر) لاكتساب ثقة الأفراد وجمع المعلومات اللازمة، ولابد للباحث أن لا يكتفي بالملاحظة عن بعد ولكن يجب أن يتعلم أسلوب حياتهم والمفاهيم السائدة ويشعر بالقيم التي يعتنقونها ويعمل معهم ويشاركهم الطعام واحتفالاتهم وارتداء ملابسهم وفي بعض الأحيان يدخل كعضو في جمعياتهم إذا سمحت النظم الاجتماعية بذلك، وعليه طوال الفترة أن يكتب تقريرات يومية عن كل صغيرة وكبيرة تقابله، وعندما تتضح له فكرة عامة عن أسلوب المعيشة في المجتمع يبدأ في التحليل والكشف عن عناصر الثقافة والترتيب البنائي للمجتمع حتى تصبح دراسته مفهومة وواضحة. [3]

يحدد العالم إيفانز بريتشارد (في كتابه الأنثربولوجية الاجتماعية) شروط نجاح الملاحظة بالمشاركة فيما يلي:

1- أن تسبقها مرحلة تخصص ودراسة نظرية كافية في الأنثربولوجيا عامة والعلوم الاجتماعية وخاصة علم الاجتماع، ويفهم من ذلك ضرورة الحصول على الدرجة الجامعية الأولى على الأقل في أحد فروع العلوم الاجتماعية قبل القيام بالدراسة الميدانية وتطبيق الملاحظة بالاشتراك.

2- على الباحث أن يقضي فترة كافية في الاشتراك مع أفراد المجتمع موضوع الدراسة في معيشتهم، ويجب ألا تقل تلك الفترة عن عام، ويرى بعض العلماء أن ستة أشهر قد تكون كافية، ولاشك أن تحديد الفترة الكافية يرتبط بعوامل متعددة مثل حجم المجتمع وطبيعة المشكلة المراد دراستها دراسة مركزة.

3- أن يكون الباحث طوال فترة الملاحظة على صلة وثيقة بالأهالي ويتم ذلك عن طريق اشتراكه في معظم جوانب حياتهم الاجتماعية.

4- على الباحث أن يستخدم في حديثه مع أفراد المجتمع موضوع الدراسة لغتهم الوطنية، ولا يستخدم المترجم، إذا كثيرا ما يفشل المترجم في نقل الأفكار والمعاني بدقة كاملة.

5- وعليه أيضا أن يدرس كل جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية وإن كان قد يدرس موضوع معين بالتفصيل، وفي الغالب لا ينشر الباحث سوى جزء يسير من دراسته، ولكن الدراسة الكلية للمجتمع ضرورية حتى يستطيع فهم الجانب التفصيلي وتحديد وظائفه.

6- لابد من توفر نوع معين من الشخصية والمزاج، فبعض الناس لا يستطيعون تحمل مشاق العزلة عن وطنهم الأصلي فغالبا تكون الحياة في المجتمع موضوع الدراسة قاسية، وخاصة أن الظروف غير الصحية تنتشر في المجتمعات البدائية، هذا بالإضافة إلى تعرض الباحث لتغيير عادات الطعام والمسكن والملبس والمشرب، ولذلك لا يستطيع الكثيرون تكييف أنفسهم عقليا ونفسيا وجسميا مع تلك الظروف الجديدة.

---

[3] -Jean Lopans: L'enquête ethnologique de terrain/11, édition: claire hemmaut.1998 P P 34 – 38.

7- على الباحث أن يتخلى عن قيمه وثقافته بقدر المستطاع حتى يستطيع تحقيق الملاحظة الموضوعية، ولاشك أن الأفراد الذين يتقنون الملاحظة يستطيعون الوصف الدقيق للمجتمع، ولكن عندما ينتقلون إلى مرحلة الفهم والإدراك العميق فإنهم يحتاجون إلى الكثير من الحدس. ويجب عدم إغفال أهمية مزاج الباحث وطباعه، فقد يحدث أن يخفق أحد البحاث في دراسة مجتمع معين ولكنه يجنح في مجتمع آخر.

8- يحتاج الباحث لمهارة أدبية في نقل وصف وتحليل الثقافة المدروسة إلى لغة الباحث نفسه، إذ عليه أن يبين ويشرح معنى الظواهر الاجتماعية والثقافية التي لاحظها وأن يبرز هذا المعنى بوضوح في صور تجاربه الأخرى، ويقتضي ذلك المجهود مهارة في إدراك وتمييز الصيغ والنماذج اللغوية، ولا يفهم من ذلك أن على الأنثروبولوجي أن يكون أديبا حتى ينجح في عمله وإنما يكون قادرا على التعبير والكتابة بلغة واضحة سليمة. [4]

وفيما يتعلق بتدوين التقارير اليومية فمن الضروري تدوين كل المعلومات (حول الحادثة أو الظاهرة) في أقرب فرصة متاحة بعد الملاحظة مباشرة ويجب أن يكون التسجيل يوميا على الأقل وأن يشمل تقرير مطول عن حوادث اليوم كما عليه أن يتحاشى التسجيل خلال الحوادث إلا للضرورة، لأن ذلك قد يسبب له انقطاعا في التركيز في متابعة الظاهرة ورصدها، وقد يسبب تحول سلوكات الأشخاص محل الملاحظة أو تذمرهم.

يشدد مالينوفسكي (في كتابه مغامرو المحيط الهادي الغربي ص 64-65) على أهمية الملاحظة بالمشاركة، وضرورة معاينة الوقائع الظاهرة ثم الظواهر المعقدة الأخرى ويبرز أهمية تقنية المشاركة بقوله: « **أثناء نزهتي الصباحية في القرية، كان بوسعي أن أعاين التفاصيل الحميمة للحياة العائلية، والاعتناء بالهندام وإعداد الطعام، وتناول الوجبات:**

كان بوسعي أن أرى تهيؤ القوم للقيام بأعمالهم اليومية، أن أرى أشخاصا يذهبون لجلب حاجاتهم، أو جماعات من الرجال والنساء منهمكين في إعداد شيء من الأشياء. كانت المشاجرات والممازحات، والمناكفات العائلية، والأحداث العابرة التي لا أهمية لها والتي تتخذ طابعا دراماتيكيا في بعض الأحيان لكنها تظل دائما ذات دلالة ومغزى، تشكل مناخ حياتي كل يوم كما تشكل مناخ حياتهم. ولأن الأهالي كانوا يرونني طيلة الوقت بينهم، فإن وجودي لم يعد يربكهم ولا يثير لديهم قلقا أو انزعاجا. منذ ذلك الحين، لم أعد أشكل عنصرا مشوشا للحياة القبلية التي كنت أدرسها، ولم يعد مجرد اقترابي من أي شيء كفيلا بإفساده على نحو ما يحصل عندما يوجد قادم جديد بين طائفة من البدائيين. والواقع أنهم لما تيقنوا من أنني سأظل أتدخل على الدوام في كل الشؤون والأمور، بما فيها تلك التي لا تخطر ببال أي من أبنائهم المهذبين أن يتدخل فيها فقد انتهى بهم الأمر إلى اعتباري جزءا من أجزاء وجودهم وعنصرا من عناصره، أو شرا لابد منه، أو هما لا سبيل إلى تلافيه تخف وطأته عند توزيعي بعض التبغ عليهم.

بعد ذلك، وخلال فترة النهار، لم يكن يغرب عن انتباهي أي شيء مما كان يجري حولي. أما حالات الاستنفار التي كانت تحصل عند المساء مع قدوم الساحر، أو تلك المشاجرة أو المشاجرتان الصاخبتان، أو تلك الخلافات الجدية التي كانت تدور ضمن الطائفة، فضلا عن حالات المرض، ومحاولات علاجها، والوفيات، والطقوس السحرية [...] التي من المفترض أداء شعائرها،

---

[4]- د. عاطف وصفي: الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت، 1971، ص ص 287-288.

فإن مشاهدتها لم تكن تستوجب مني أي جري وراءها أو أية خشية من تفويتها، إذ كانت تحدث أمامي، وتحت بصري، وعلى مقربة من عتبة بابي إذ جاز القول. وينبغي أن أشدد هنا على أن من الأهمية بمكان أن يشرع الباحث بالتحقيق على الفور ما إن يحصل شيء دراماتيكي أو رئيسي. إذ أن الأهالي لا يسعهم أن يمتنعوا عن التعليق على ما يجري، فيكونون عندئذ على درجة من التوتر تحول دون تعبيرهم عنه بالكلام المتروي، أو يكونون على درجة من الاهتمام به تحول دون امتناعهم عن إضافة شتى التفاصيل إليه. لذا كنت في أحيان كثيرة أضطر إلى الإخلال بأصول اللياقة، الأمر الذي كان يحمل الأهالي، وقد رفعت الكلفة بيننا، إلى تنبيهي إليه. فكان علي أن أتعلم أصول التصرف، كما كان لي أن أدرك، إلى حد ما "مغزى" العادات الحسنة والسيئة التي يتمتع بها أهالي تلك البلاد. بناء عليه، ولأنني كنت قد توصلت أيضا إلى الارتياح إلى صحبتهم وإلى مشاطرتهم بعض ألعابهم وتسلياتهم، فإنني أخذت أشعر بأنني قريب منهم بالفعل وهذا أمر لاشك في أنه يشكل شرطا مسبقا من شروط أي نجاح في العمل البحثي ». [5]

ب- طريقة المقابلة في البحث الحقلي :

تستخدم المقابلة interview في كثير من مجالات الحياة ، فالباحث الاجتماعي يستخدم المقابلة كأداة لجمع البيانات ، و رجل الأعمال و الطبيب و رجل الدين و القاضي و رجل البوليس و الصحفي و المدرس و المحامي و الأخصائي النفسي و الاجتماعي .. كل هؤلاء يستخدمون المقابلة لاستخدامها في التوجيه أو التشخيص أو العلاج

و هي تعد من أكثر وسائل الحصول على المعلومات شيوعا و ان كانت تتفاوت في أهميتها و نوعيتها بحسب المنهج . فالمقابلة الشخصية تعتبر هي الوسيلة الأنثروبولوجية ، في حين أن دورها يختفي نسبيا في المنهج التجريبي و المنهج التاريخي و يكاد لا يكون لها وجود في المنهج الإحصائي الذي يعتمد على معطيات رقمية جمعت بوسائل متعددة قد تكون المقابلة الشخصية إحدى وسائلها.

تسهم المقابلة في المراحل الأولى من البحث في الكشف عن الأبعاد الهامة للمشكلة ، و في تنمية الفروض ، و في إلقاء الضوء على الاطر المرجعية لاستجابات أفراد التجربة ، و تمتاز المقابلة عن غيرها من أدوات البحث الاجتماعي بأنها أكثر مرونة ، بأنها تيسر لدرجة أكبر ملاحظة المبحوث و التعمق في فهم الموقف الكلى الذي يستجيب فيه للمقابلة ، كما يمكن القائم بالمقابلة أن تشرح للمبحوث ما قد يكون غامضا من السؤال و أن يكشف عن التناقص في الإجابات و أن يرجع إلى المبحوث لتفسير هذا التناقص ، و هو فوق ذلك يستطيع تغيير الجو الاجتماعي للمقابلة بحيث يكون أكثر واقعية ، و هو اقدر على الحكم على صدق الإجابات التي يحصل عليها من المبحوثين.

و يمكن عن طريق المقابلة التعرف على صور النفس البشرية مستعرضة بدرجة تسمح بالإلمام بظروف تنشئة المفحوص الاجتماعي ، و متعمقة بدرجة تسمح للباحث بالكشف عن دوافعه و مشاعره و اتجاهاته و عقائده و قيمة و هذا ما يصعب الحصول عليه عن طريق الوسائل الأخرى لجمع البيانات.

و يمكن عن طريق المقابلة أيضا التعرف على الأوضاع التي كانت تسود في فترة سابقة على إجراء البحث الميداني و بخاصة تلك التي خضعت لكثير من التغيرات و دخل عليها كثير من التعديل أو حتى الأوضاع التي إختفت و أصبحت مجرد ذكريات في أذهان بعض أعضاء المجتمع ، أو كما هو الشأن بالنسبة لأحداث التي تحدث في مواقع أو مجتمعات محلية أخرى لا تدخل في نطاق البحث الميداني و إن كانت تساعد في إلقاء بعض الأضواء عن الملاحظات الاثنوغرافية التي يقوم الباحث بجمعها عن طريق الملاحظة في مجتمع البحث.

---

[5]- جاك لومبار: مدخل إلى الأنثروبولوجيا، ترجمة حسن قبيسي، الطبعة الأولى، 1997، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص ص 180 – 181.

و عموما فإن المقابلة تتكون من ثلاثة عناصر **القائم بالمقابلة** و **المبحوث** و **موقف المقابلة** و هناك ارتباط وثيق بين هذه العناصر على نحو يؤثر في النتائج العامة للمقابلة ، و يتوقف نجاح المقابلة على مهارة القائم بها و مبلغ وعيه و إدراكه لمختلف العوامل في الموقف المحيط به و التي يمكن أن تدفع المبحوث إلى الوقوف موقفا سلبيا من الباحث او الى إعطاء بيانات محرفة لا تتسم بالصدق و الثبات([6]).

- تعريف المقابلة :

يعرف **بنجهام** Bingham المقابلة بأنها المحادثة الجادة الموجهة نحو هدف محدد غير مجرد الرغبة في المحادثة لذاتها و ينطوى هذا التعريف على عنصرين رئيسيين هما :

1- المحادثة بين الشخصين أو أكثر في موقف مواجهة ، و يرى بنجهام أن الكلمة ليست هي السبيل الوحيد للإتصال فخصائص الصوت و تعبيرات الوجه و نظريات العين و الهيئة و الإيماءات و السلوك العام كل ذلك يكمل ما يقال .

2- المقابلة تختلف عن الحديث العادي فهي محادثة جادة و موجهة نحو هدف محدد مع وضوح هذا الهدف .

و يعرف **انجلش – و- انجلش** A. English.H.English المقابلة بأنها محادثة موجهة يقوم بها شخص من شخص أخر أو أشخاص آخرين هدفها استثارة أنواع معينة من المعلومات لاستغلالها في بحث علمي أو للاستعانة بها على التشخيص و العلاج .

و تعرف **جاهودا** jahoda المقابلة بأنها التبادل اللفظي الذي يتم وجها لوجه بين القائم بالمقابلة و بين شخص أخر أو أشخاص أخرين .

أما **ماكوبى و ماكوبى** E.Maccby and N.Maccoby فإنهما يعرفان المقابلة بأنها تفاعل لفظي يتم بين شخصين في موقف مواجهة حيث يحاول أحدهما و هو القائم بالمقابلة أن يستثير بعض المعلومات أو التعبيرات لدى المبحوث و التي تدور حول أرائه و معتقداته.

و تعرف **بياتريس ويب** أن المقابلة بالنسبة للباحث الاجتماعي في الاستقصاء و البحث تعادل أنبوبة الاختيار التي يستخدمها الكيمائي في معمله و الميكروسكوب الذي يتخذه البكتريولوجي في اكتشافاته.

نستخلص مما سبق أن المقابلة هي موقف للتفاعل الاجتماعي اللفظي تهدف إلى استثارة معلومات محددة تتعلق بهدف هذه المقابلة الذي قد يتمثل في البحث العلمي أو التشخيص أو العلاج أو التحقيق ، و يستخدم فيها بجانب التبادل اللفظي الإيماءات ، السلوك ، الشكل العام تعبيرات الوجه و العين ، وهي بالنسبة للباحث الإجتماعي معادلة لأنابيب الإختبار و الميكروسكوب للعالم في إكتشافه .[7]

- مزايا المقابلة :

1- للمقابلة أهميتها في المجتمعات التي تكون فيها درجة الأمية مرتفعة حيث أنها لا تتطلب من المبحوثين أن يكونوا مثقفين حتى يجيبوا على الأسئلة حيث أن القائم بالمقابلة هو الذي يقوم بقراءة الأسئلة .

2- تتميز المقابلة بالمرونة فيستطيع القائم أن يشرح للمبحوثين ما يكون غامضا عليهم من أسئلة و كلمات .

3- تتميز المقابلة بانها تجمع بين الباحث و المبحوث في موقف مواجهة و هذا الموقف يتيح له فرصة التعمق في فهم الظاهرة و ملاحظة سلوك المبحوث فيستطيع الباحث عن طريق مقابلته لأفراد الأسرة

1- نخبة من اعضاء هيئة التدريس: مدخل الى الانثروبولوجيا (علم الانسان) ، تحرير: د.مصطفى عمر حمادة.الناشر عالم المعرفة الجامعية – الاسكندرية – مصر – 2011

2 نفس المرجع

أن يشاهد حالة الأفراد السكنية و المعيشية دون أن يوجه أسئلة قد تبدو محرجة و قد يكون لها أثرها في المبحوثين فيرفضون التعاون مع الباحث .
4- المقابلة تساعد الباحث على الكشف عن التناقض في الإجابات و مراجعة المبحوث في هذا التناقض . فيستطيع الباحث مثلا أن يلاحظ تناقضا بين ما يذكره المبحوث عن سنه و عدد أولاده و عن طريق المناقشة يمكن للباحث أن يصحح الخطأ.
5- إذا أراد الباحث أن يوجه أسئلة كثيرة إلى المبحوثين فيمكنه إقناعهم بالأهمية العلمية للبحث و ما يمكن أن يستفيده المجتمع من ورائه و بهذا يكسب معونتهم و يضمن استجابتهم للبحث.
6- يمكن الحصول على تعاون المبحوثين و تجاوبهم إذا ما أحسن عرض الموضوع و هذا يتوقف على خبرة الباحث و لباقته.
7- توجيه الأسئلة في المقابلة بالترتيب و التسلسل فلا يطلع المبحوث على جميع الأسئلة قبل الإجابة عليها كما قد يحدث في الاستبيان ، و التساؤل يجب ألا يوحى بالإجابة و أن يصاغ بطريقة مفهومة وواضحة.
8- تضمن المقابلة للباحث الحصول على معلومات من المبحوث و أن يتناقش مع غيره من الناس أو يتأثر بآرائهم الشخصية و بذا تكون الآراء أكثر تعبيرا عن رأيه الشخصي .
9- يغلب أن تحقيق المقابلة تمثيلا اكبر للمجتمع لان القائم بالمقابلة يستطيع الحصول على بيانات من جميع المبحوثين خصوصا إذا أحسن عرض الغرض من البحث عليهم .
10- يحصل القائم على إجابات لجميع الأسئلة و إذا كانت الإجابات ناقصة يستطيع الاتصال بالمبحوثين و يقوم بمقابلة ثانية و ثالثة حتى يحصل على البيانات المطلوبة.
11- تسهم المقابلة في المراحل الأولى من البحث في الكشف عن الأبعاد الهامة للمشكلة و في لاقتراح الفروض و في إلقاء الضوء على الإطارات المرجعية لاستجابات أفراد البحث .
12- تفضل في الحالات التي لا يتيسر فيها استخدام الملاحظة مثل الآمال في المستقبل ، الحالات التي يصعب فيها التنبؤ مقدما [8].

- عيوب المقابلة :

1- التكاليف الخاصة بالمواصفات و الوقت اللازم لإجراء المقابلة الشخصية لعينة كبيرة موزعة في أماكن متباعدة قد تجعل هذه الطريقة غير ممكنة عمليا .
2- قد ينجم عن تحيز الباحث لقضية ما تحريف الحقائق التي يجمعها بصورة تخدم أغراضه وأرائه الشخصية
3- اختيار و تدريب الباحثين اللازمين للقيام بهذه العملية و الإشراف عليهم يعد من الأمور المعقدة في هذه الطريقة إذا ما قورنت بطرق أخرى.
4- هناك التحيز الناجم عن ضعف الذاكرة بالنسبة للشخص المستجوب خاصة إذا ما تطلب البحث بيانات دقيقة عن ماضي بعيد .
5- لا تصلح هذه الطريقة وحدها في الحصول على بيانات تخرج أو تضر المبحوث كما في حالة البيانات الخاصة بالعلاقات الزوجية أو المبادئ السياسية التي تحرمها الدولة.

- أنواع المقابلات :

للمقابلة أنواع كثيرة و يمكن تصنيفها على النحو التالي :

1- من حيث الغرض : ومنها المقابلة لجمع البيانات :

و غالبا ما تكون هذه البيانات من النوع الذي يصعب الحصول عليه بطريق الملاحظة ، و تستخدم في الدراسات الاستطلاعية بقصد التعرف على أهم الحقائق المتعلقة بالمشكلة ، و تحديد الفروض التي

3- نخبة من اعضاء هيئة التدريس: مدخل الى الانثروبولوجيا (علم الانسان) ، مرجع سابق.

يمكن وضعها تحت الاختبار و تستخدم أيضا في الدراسات الوصفية و تستخدم في الحصول على معلومات متعلقة بالأشخاص و المواقف المحيطة بهم .

2- **المقابلة من حيث عدد المبحوثين :** يمكن تقسيم المقابلات الى نوعين :

أ- المقابلة الفردية :

هي التي تتم بين القائم بالمقابلة و بين شخص واحد من المبحوثين و هو النوع الاكثر شيوعا في الدراسات و البحوث الاجتماعية.

ب- المقابلة الجماعية :

وهي التي تتم بين الباحث و بين عدد من الأفراد في مكان ووقت واحد ، و يستخدم هذا النوع من المقابلة لتوفير الوقت و الجهد و للحصول على معلومات أوفر لأن باجتماع عدد من الأفراد يساعد على تبادل الخبرات و تذكر التفاصيل التي تغيب عن أذهان بعض ممن أجريت معهم مقابلات على المستوى الفردي ، و يجب ألا يكون حجم الجماعة ، كما ينبغي أن يتوفر بها أكبر قدر ممكن من التجانس سواء من ناحية النوع أو السن أو المستوى الاقتصادي أو الثقافي .

أما بالنسبة لسير المناقشة الجماعية فينبغي أن يأخذ القائم بالمقابلة في الاعتبار جميع الأفكار التي تثار حتى التي تبدو للوهلة الأولى بعيدة عن الموضوع لأنها قد تنفع في استثارة أفكار أخرى لدى آخرين ، و إذا كان بعض أفراد الجماعة ساكنين بطبيعتهم فعلى القائم بالمقابلة أن يخلق الحوافز التي تدفعهم إلى المناقشة و إبداء الرأي ، و إذا أراد بعض الأعضاء ابتكار المناقشة أو فرض أرائهم على المجموعة فعلى القائم بالمقابلة أن يعالج الأمر بلباقة ليسمح للجميع بالمساهمة جانبية حتى لا تتشتت المجموعة فلا تؤدى المقابلة أهدافها.

3- **المقابلة من حيث درجة المرونة و حرية الباحث في موقف المقابلة :**

تنقسم المقابلة من حيث درجة مرونتها إلى :

طريقة المقابلة الموجهة:(المقيدة / المقننة)

وتتمثل تلك الطريقة في استخدام استمارة تتكون من مجموعة من الأسئلة التي وضعت بدقة حول موضوع معين، وفي معظم الأحيان تشمل الاستمارة كذلك الإجابات المحتملة بحيث يمكن ملؤها بسرعة وتفريغها في جداول. وعلى الباحث أن يقرأ كل سؤال أمام الشخص المراد دراسته، ثم يسجل إجابته في الاستمارة ويتم ذلك غالبا بوضع علامة أمام إحدى الإجابات المكتوبة، ويلاحظ أن قراءة الأسئلة يجب أن تتم بصورة محايدة بحيث لا تؤثر على إجابات المستمع. وتستخدم هذه الطريقة بكثرة في أبحاث علم الاجتماع، ولكنها غير منتشرة في الدراسات الأنثروبولوجية، ويرجع السبب في ذلك أن استخدام طريقة المقابلة الموجهة لا تنجح إلا في المجتمعات المتمدينة، أما في المجتمعات البدائية او الريفية فإنها تثير شكوك الفرد لعدم تعوده على تلك الطريقة الرسمية في الحديث وخاصة أن اغلب افراد هذه المجتمعات لا تعرف الكتابة والقراءة ولم يحدث أن قابلهم أحد وأخذ يسجل أقوالهم، ولذلك لا يستخدمها الأنثربولوجيين إلا في المجتمعات المتمدينة وبجانب طريقة الملاحظة بالمشاركة وطريقة المقابلة غير الموجهة.

طريقة المقابلة غير الموجهة: (الحرة او غير المقننة)

يستخدم الأنثربولوجي أثناء الدراسة الميدانية بالإضافة إلى طريقة الملاحظة بالاشتراك طريقة " المقابلة غير الموجهة" وتتمثل في مقابلة بعض أفراد المجتمع الذي يتمتعون بصمعة طيبة في المجتمع موضوع الدراسة، ويحاول في المقابلات الأولية اكتساب ثقتهم بحيث يفتحون له قلوبهم ولا

يحاولون تزييف الحقائق، وفي المقابلات التالية يبدأ الباحث في توجيه الأسئلة لهؤلاء " المبلغين" ويتيح لهم فرصة الإجابة المطولة دون توجيه الإجابة وجهة معينة، وعندما ينتقلون في الحديث من موضوع لآخر لا يحاول قطع الحديث وإنما على العكس يشجعهم بكلمة أو أخرى تزيد من حماسهم في الاسترسال في الحديث حول الموضوع الذي يهم الباحث، ويمكن للباحث تدوين تلك المعلومات أو تسجيلها بالآلات الحديثة إذا كان قد اكتسب ثقتهم، وفي حالة عدم اكتساب تلك الثقة يمكن تدوين النقاط الأساسية بطريقة لا تثير الشك، وفي بعض الأحيان لا يكتب الباحث أية معلومات أثناء المقابلة غير الموجهة، وإنما عليه تدوين كل ما سمعه بعد المقابلة مباشرة حتى لا ينسى بعض عناصرها. وتتلخص أهمية هذه الطريقة في أنها تتيح فرصة إظهار سمات شخصية الأفراد وإعطاء معلومات تفصيلية عن الموضوعات التي تدور حولها الأسئلة. ولا توجد تلك المميزات في طريقة المقابلة الموجهة. [9]

- **صياغة موقف المقابلة :**

المقصود بصياغة موقف المقابلة متطلبات استخدام المقابلة كوسيلة لجمع البيانات و يمكن تحديد هذه المتطلبات المنهجية في مطلبين أساسيين و مرتبطين الأول هو صياغة الأسئلة Questions Formulation
أي وضع أداة القياس و المطلب الثاني هو القيام بعملية المقابلة ذاتها Interviewing أي استخدام هذه الأداة و تتضح هذه العلاقة الوثيقة بين هذين المطلبين حينما يقوم الباحث بالعمليتين معا دون أن تكون هناك فواصل زمانية أو مكانية بين العمليتين كما في البحوث الأنثروبولوجية[10].

ب- كيفية إجراء المقابلة :

نعرض هنا لبعض المبادئ التي يجب أن يراعيها الباحث و ليس من الضرورى أن يلتزم بها الباحثون ليس من الضروري أن يلتزم بها الباحث التزاما حرفيا بل ليختار منها ما يتناسب مع ظروف المقابلة التي يجربها و طبيعة البحث الذي يقوم به .

1- أن أول ما يسعى إليه القائم بالمقابلة هو استثارة الدافع لدى المبحوث للاستجابة ، فالمبحوث يواجه شخصا غريبا عنه و يطلب أليه أن يدلى ببيانات تتصل بشئون حياته الخاصة أو مرتبطة بتقاليد راسخة ، و نجاح المقابلة ودقة الحصول على البيانات المطلوبة يتوقفان إلى حد كبير على مدى فهمه للأشخاص الذين يواجههم و قدراته على تطوير رابطة شعورية حميمة Rapport بينه و بين المبحوثين فيبدأ بمقدمة مختصرة يشرح فيها الغرض من المقابلة كما يبين لأفراد البحث أن البيانات المطلوبة لن تستخدم إلا لغرض البحث العلمي.

2- يصف الطريقة التي تم بها اختيار الشخص المبحوث

3- يعرف بالهيئة التي تقوم بهذه الدراسة.

4- أن يدع المبحوث يتأكد بأن كل ما يدلي به سيظل في طي السرية و أن الدراسة تبغي الوقوف على مجموع الاتجاهات دون البحث في المسائل الذاتية .

5- أن تبدأ القابلة بالموضوعات التي ليس لها طابع شخصي ثم التدرج في الحديث إلى أن يبدأ المبحوث في الإحساس بالاطمئنان و الثقة و عندئذ يمكن الانتقال إلى الموضوعات ذات الطابع الشخصي .

---

[9]- د. عاطف وصفي، المرجع السابق، ص ص 289-291.

[10]- **نخبة من اعضاء هيئة التدريس: مدخل الى الانثروبولوجيا (علم الانسان) ، مرجع سابق.**

6- أن يحرص الباحث على استهلال المقابلة بالموضوعات التي يدور حولها اهتمامات المبحوثين و أن يتحدث باللغة التي يجيدها المبحوث و استخدامه لهجاته كلما أمكن ذلك بدون افتعال حتى لا يتحول إلى نوع من التقليد الذي يعنى السخرية.
7- تهيئة جو المقابلة بأن يخصص للمقابلة الوقت المناسب و الظروف الملائمة و في كثير من الأحيان تكون المقابلة مقصورة على الباحث و المبحوث لأن وجود أفراد آخرين قد يثير مخاوف المبحوث مما يدفعه إلى الإحجام عن الادلاء بالبيانات الصحيحة ، و أن إشاعة جو من البساطة و عدم الكلفة في الحديث يؤدي إلى اختفاء الخوف و القلق لدى المبحوث و يحسن أن يقوم القائم بالمقابلة بدور الخبير الذي يحاول استكمال معلوماته من شخص يستطيع أن يقدم له المعلومات .
8- ينبغي أن يكون الباحث مستعدا للإجابة على أي أسئلة توجه إليه من المبحوث و يجب أن يحدد موعدا معه لإجراء المقابلة مع إشعاره بأن هذا الوقت مخصص له بالذات و يجتهد في التواضع و الظهور بمظهر اللياقة.
9- توجيه الأسئلة : لا تلقي الأسئلة بطريقة جامدة إملائية و إذا كانت الأسئلة معدة من قبل في استمارة أو ذليل عمل على الباحث أن يقرأها جيدا و يتدرب عليها و يعرف ترتيبها المنطقي فيبدأ بالبسيط متدرجا إلى مستويات أعمق ، كما لا يجب توجيه أكثر من سؤال حتى يستطيع المبحوث أن يستجمع أفكاره بالنسبة لكل سؤال و ينظم إجابته تنظيما دقيقا ، و أن يظل القائم بالمقابلة ممسكا بزمامها و يوجهها إلى الناحية التي تحقق أهداف البحث دون أن يترك الأمر للمبحوث يوجهه كيفما يشاء ، و يستحسن توجيه الأسئلة بنفس الأسلوب لكل الأفراد و توضيح معاني الكلمات الغامضة أو إعادة السؤال عدة مرات.
10- الحصول على الإجابة : يجب أن يسعى القائم بالمقابلة إلى الحصول على إجابات جميع الأسئلة فإذا وجد أن المبحوث قد أجاب على السؤال من سؤال سابق فلا ينبغي أن يتخلى عن ذلك السؤال يوضع للتأكيد من صحة الإجابة ، أما إذا كانت الإجابة ناقصة فعليه أن يحاول استكمال المعلومات ، و أن يحاول أن يعرف العوامل التي ت دفع المبحوث إلى عدم الإجابة فقد يكون المبحوث حقا لا رأي له في الموضوع أو لا يكون قادرا على التعبير عن رأيه بالألفاظ أو أن يكون السؤال غير واضح و على القائم بالمقابلة أن يميز بقدر الإمكان بين هذه الحالات و أن يتصرف في كل موقف بما يناسبه ، وإذا حاول المبحوث أن يسأل القائم بالمقابلة عن رأيه فعليه أن يبتسم مصرحا بأن مهمته الحصول على معلومات لا أن يدلي برأيه الخاص و يجب أن يتجنب الإيحاء بإجابة معينة ، و أن يمنحه الفرصة الكاملة ليقول كل ما يريد بالصورة التي يريدها و إذا استطرد المبحوث إستراد خارجا عن الموضوع فينبغي أن يعيده إلى الموضوع برفق ، و ينبغي ألا يظهر القائم بالمقابلة نفورا و اشمئزازا من المبحوث و ألا يظهر دهشة و استنكارا لما يقول و ألا يظهر دهشة و استنكارا و ألا يصدر عليه أحكاما خلقية .، و من الأسئلة من يتناول بعض الحقائق الخاصة بالسن أو الدخل فيجب التأكد من صحتها في ضوء البيانات التي أدلى بها المبحوثين و محاولة الاستدلال على صحتها فمن الممكن إلقاء بعض الأسئلة التي لا تشتمل عليها الاستمارة (أو الدليل). ، كما أنه لا بد من ملاحظة الأحوال الاقتصادية و الاجتماعية للمبحوثين أثناء إجراء المقابلة و مطابقتها بما يحصل عليه من إجابات.
11- تسجيل إجابات المبحوثين : أن عدم تدوين إجابات المبحوثين وقت سماعها يؤدي إلى نسيان كثير من المعلومات و تشويه الكثير من الحقائق و على ذلك فإنه من الضروري تسجيل إجابات المبحوثين بعد الإدلاء بها مباشرة ، ففي حالة الاستمارة التي لا تحتوي على أسئلة مفتوحة فما على الباحث إلا أن يضع علامة مميزة أمام الإجابة التي يختارها المبحوث ، أما إذا كانت المقابلة حرة فينبغي تدوين كل ما يقوله تدوينا مرتب و يمكن استخدام أجهزة التسجيل و يراعي في ذلك موافقة المبحوث لأن إخفاء ذلك يتعارض مع الأصول التي يجب مراعاتها في مواقف البحث لأن إخفاء ذلك يتعرض مع الأصول التي يجب مراعاتها في مواقف البحث فمن المستحسن تسجيل إجابات المبحوثين مباشرة و على مشهد منهم لتفادي الأخطاء التي تترتب على التسجيل من الذاكرة و أهمها النسيان أو التحريف.

- اختيار القائمين بالمقابلة :

المقابلة عمل فني يعتمد في المقام الأول على شخصية الباحث و أسلوبه و مقدرته على استهلال الحديث و إثارة عوامل التشويق التي تشعر المبحوث بإيجابيته في البحث.

كذلك يتطلب إجراء المقابلة أن يكون القائم بها مقبولا من المبحوثين أنفسهم و من أجل ذلك ينبغي التدقيق في اختيارهم في ضوء سماتهم الشخصية و مستوى معرفتهم و خبراتهم و علاقة كل ذلك بموضوع المقابلة و أهداف البحث ، فالمعيار الأساسي في اختيار القائمين بالمقابلة هو أنه يمكن اعتبارهم من جهة نظر المبحوث أشخاص لديهم المعرفة الكافية و الفهم الذي يتحقق على أساسه الاتصال الفعال بين الباحث و المبحوث .

و لقد قدم نادل Nadel و كلاكهون Kluckhon تصورا لتدريب الباحثين على المقابلة يتم على أساس اختيار دقيق للقائمين بها يصل إلى حد تحليلهم نفسيا قبل تدريبهم و تستخدم طرق مباشرة و طرق أخرى غير مباشرة للتدريب مما يجعلنا نصل إلى نتائج خالية إلى حد بعيد من التحيزات الشخصية . و لقد أوضحت [11] الدراسة التي قام بها المركز القومي لبحوث الرأي العام بالولايات المتحدة عن مصادر الخطأ في المقابلة كوسيلة لجمع البيانات تتخلص في مظهر و أسلوب القائم بالمقابلة و اتجاهاته و توقعاته و طريقة توجيه الأسئلة و تباين طرق تسجيل الاستجابات و المعلومات[12].

- نموذج انثروبولوجية عن كيفية استخدام المقابلة :

يذكر أ.د. **أحمد أبوزيد** حول اهمية استخدام المقابلة في الدراسات الانثروبولوجية - في كتابه " المجتمعات الصحراوية في مصر": (أنه لا يمكن الاستغناء عن المقابلة و الإخباريين الذين يعتبرونهم الأداة الرئيسية للحصول على المعلومات و البيانات المتعلقة بالأوضاع الاجتماعية التي يصعب إخضاعها للملاحظة المباشرة ، كما تساهم المقابلة في إلقاء بعض الأضواء على الملاحظات الأثنوغرافية التي يقوم الباحث بجعلها عن طريق الملاحظة في مجتمع البحث مثل وصف مجالس القضاء العرفي التي أتيح للإخباري المشاركة فيها أو تتبع أشجار النسب و في تقويم مشروعات التنمية و تعرف رأي الأهالي و نظرتهم إليها و إلى القائمين عليها.)

جـ طريقة مدخل تاريخ الحياة:

يميل الباحث في كثير من الأحيان إلى جمع مادة مكثفة عن أشخاص ذو فصاحة طبيعية، لأن الطبيعة الشخصية لتاريخ الحياة تمثل تمثيلا كاملا للمعلومات الثقافية لها أهميتها الكبيرة في فهم طرق الحياة الخاصة.

وتجمع مادة تاريخ الحياة عادة في محاولة لربط تجريدات الوصف الأثنوجرافي بحياة الأفراد في المجتمع، ونظرا لما يتيحه استخدام تاريخ الحياة من الحصول على معطيات شرعية تتناول ما يتخذه المبحوث عن قرارات هامة، ويكشف عن مشاعره إزاء الأشخاص والأحداث، وتحيط بدوافعه، وتبرز ما يقدمه من تبريرات ذاتية بجوانب أفعاله، إن ذلك يسهم إسهاما مباشرا في إتاحة الفرصة أمام الباحث الاجتماعي، لكي يفهم العمليات الحاسمة في تاريخ حياة الحالة موضع الدراسة. (13)

---

[11]- إذا لم يتيسر الباحث أن يدون المعلومات من الإخباري وقت إجراء المقابلة أن يقوم بتدوينها بعد انتهاء المقابلة مباشرة و قد يستخدم أثناء المقابلة بعض الرموز أو الكلمات التي تساعد على تذكر المعلومات بدقة .

[12]- **نخبة من اعضاء هيئة التدريس: مدخل الى الانثروبولوجيا (علم الانسان) ،مرجع سابق.**

[13]- عبد الله عبد الغني غانم، المرجع السابق، ص 126

وتعتبر هذه الطريقة مهما جدا لأنها إذا استغلت بطريقة حسنة لتمكنة الباحث من حسن المشاهدة، وعمق التحليل، والموضوع الذي تتخذه طريقة تاريخ الحياة مجالا لها هو صوغ مجموعة من التفسيرات التي تعكس الخبرة الذاتية لفرد، أو جماعة إزاء مجموعة من الوقائع والأحداث التي تحدد الطريقة التي أصبح الفرد بمقتضاها عضوا في تنظيم أو في جماعة، أو سيرت اهتماماته على نحو أدى به إلى أن يسلك سبيل الإنحراف، ويتحقق ذلك من خلال تركيز الاهتمام على عرض خبرة الحالة موضع الدراسة في ظروف موقفها، وذلك من وجهة نظر هذه الحالة، واستجابتها لتلك الظروف، بحيث تبدوا نتائج دراسة تاريخ الحياة كما لو كانت قصة، يحدد فيها الباحث ردود فعل بطلها إزاء الأحداث الهامة التي يذكرها الباحث تفصيلا، ويعرضها في ضوء آراء واستجابات وتأويلات الشخصيات الأخرى الحاسمة في مجرى حياة الحالة الرئيسة موضوع الدراسة، هذا وتستند طريقة دراسة تاريخ الحياة في افتراض أساسي مؤداه أنه ينبغي دراسة سلوك الإنسان، وفهمه من خلال الكشف عن نظرة الإنسان القائم بهذا السلوك. (14)

د- طريقة الاختبارات النفسية:

قد يستخدم بعض الأنثروبولوجيين أثناء دراساتهم الميدانية بعض الاختبارات النفسية لتحديد خصائص شخصية أفراد المجتمع موضوع الدراسة، ومن أمثلة تلك الاختبارات " اختبار رورشاخ ".

ويتكون ذلك الاختبار من عشر لواحات، رسم على كل واحدة صورة مكبرة لنقطة حبر قذف بها على ورقة فاتخذت شكلا تغير منتظم ويطلب من شخص أن يصف ما يمكن أن يتصوره من أشكال عندما ينظر لكل لوحة، وعلى أساس ما يقرر الشخص يمكن التوصل إلى تحديد بعض خصائص شخصيته. ويجب ملاحظة أن قليلا من الأنثروبولوجيين الاجتماعيين يستخدمون الاختبارات النفسية، ولكن يستخدمها بكثرة الأنثروبولوجيين الذين يتخصصون في تحديد العلاقات والشخصية والثقافية في مجتمع ما.

هـ- طريقة المقارنة:

لا يقنع الأنثروبولوجيين بوصف قطاعات الثقافة في المجتمع موضوع الدراسة وإنما يعمل على تحليل المعلومات الوصفية ليس في تحديد أنماط العلاقات الاجتماعية وإنما لفهم الثقافة ككل ويتم ذلك عن طريق الكشف عن الوظائف الاجتماعية التي تؤدها النظم الاجتماعية وكذلك الكشف عن التأثيرات المتبادلة بين النظم الاجتماعية وباقي النظم الثقافية، ولابد للوصول إلى تلك الصورة الكلية، وعلى الأنثروبولوجيين بعد الكشف عن طبيعة الثقافة والأنماط الاجتماعية الأساسية أن يقارن تلك الظواهر الاجتماعية والثقافية بمثليتها في المجتمعات الأخرى، ولاشك أن كل دراسة جديدة لكل مجتمع تساعد على توسيع مجال المقارنة، ويجب عند المقارنة استخدام الدراسات الميدانية التي يمكن الاعتماد عليها والثقة في موضوعيتها، ونقصد بذلك الدراسات الميدانية التي يقوون بها المتخصصون

---

14 -Jean Lopans: L'enquête ethnologique de terrain/11, édition: claire hemmaut.1998 P P 50 – 52.

في الأنثربولوجيا بفروعها المختلفة أما الدراسات الميدانية التي يقوم بها الرحالة ورجال الصحافة وغير المتخصصين فهي لا تصلح للمقارنة.

يميل بعض الأنثروبولوجيين وخاصة المتخصصين في الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلى تركيز دراساتهم الميدانية في مجتمع واحد أو عدد قليل من المجتمعات ويعرف هذا الاتجاه " بتقليد مالينوسكي" ويتلخص في التخصص في مجتمع واحد من ثلاث مجتمعات على الأكثر بحيث يقضي العالم حياته كلها في الكتابة عنهم وتحليل القطاعات الثقافية لكل منهم للوصول إلى فهم عميق لثقافة تلك التجمعات. ويؤمن العلامة مالينوسكي بأنه لا يمكن فهم ثقافة من ثقافات الشعوب البدائية إلا إذا درست دراسة عميقة مركزة، وقد نادى بضرورة القيام بدراسة ميدانية مركزة واحدة على الأقل قبل التخصص في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ومعظم الجامعات في العالم قد استجابت لذلك النداء وجعلت الدراسة الميدانية شرطا ضروريا للحصول على الدرجات الجامعية العالية في الأنثروبولوجيا. ولاشك أن أوضح مثال لذلك الاتجاه دراسات العلامة مالينوسكي ذاته، فقد استغرقت دراسته الميدانية " التروبرياندر " بمنطقة ميلانيزيا مدة أربع سنوات وكان أول من استخدم لغة الأهالي لجمع المعلومات وقد أتاحت له هذه المدة الطويلة فرصة التغلغل والتعمق في الحياة الاجتماعية عند تلك القبائل ووضع عنها عدة مؤلفات تدور كلها حول ثقافتهم. ولاشك أن تقليد مالينوسكي يتعارض بعض الشيء مع اتجاه إجراء المقارنات بين الأبنية الاجتماعية للمجتمعات المختلفة لأنه يركز اهتمام العالم بمجتمع معين بحيث يستنفذ هذا التركيز كل مجهودات العالم، هذا بالإضافة إلى أنه يؤدي إلى قلة عدد الدراسات مما يعرقل المقارنات وقد لاحظ العلامة "بريتشارد" تلك المشكلة ونادى بتطبيق نوع من المقارنة أطلق عليه اصطلاح " المنهج التجريبي"، ويتلخص في أن يقوم كل أنثربولوجي باستنتاج عدة نتائج من دراسته العميقة لمجتمع واحد، ثم يقوم نفس الباحث أو باحث آخر من صحة وواقعية تلك النتائج بالنسبة لمجتمعات أخرى، وهكذا تتسع دائرة فحص تلك النتائج تدريجيا، وهي في الحقيقة لا تخرج عن كونها فروض وتصبح تلك الفروض في النهاية قوانين أو مبادئ عامة ومن العلماء الذين طبقوا هذه الطريقة العلامة " شنيدر " عندما فحص النتائج التي توصل عليها العلامة بريتشارد في دراسته لقبائل بريتشارد " النوير " عن طريق تطبيقها على قبائل " لزولوا "؛ وهناك مثل آخر يتمثل في دراسة العلاقة " نادل " الذي فحص ظاهرة السحر في أربعة مجتمعات إفريقية. ويرى العلامة " شابيرا " أنه يمكن المقاربة مكانيا ثم تتسع المقارنة تدريجيا. ويجب ملاحظة الفرق الكبير بين طريقة المقارنة المبينة فيما سبق وطريقة المقارنة التي استخدمها علماء القرن التاسع عشر، أن طريقة المقارنة المقصودة هنا تعمد على دراسات ميدانية موضوعية قام بها متخصصون وبالتالي تؤدي إلى مبادئ عامة وقوانين اجتماعية وثقافية، أما المقارنة التي طبقها علماء القرن التاسع عشر تعتمد على أقوال الرحالة وغير التخصصين وتقسم بالموضوعية ولذلك لم يترتب عليها سوى التأملات والتخمينات التي ثبت عدم واقعيتها. وكثيرا ما تحتاج المقارنة

التحليلية إلى استخدام المناهج الإحصائية واستخدام العينات وقد لاحظنا ذلك في دراسات العلامة " ميردوك ". [15]

IV- الصعوبات التي تواجه البحث الأنثروبولوجي:

يواجه البحث الأنثروبولوجي معوقات وعقوبات مختلفة متفاوتة في درجتها يمكن تحديدها على الشكل التالي:

1- صعوبات تختلف بالاختلاف التدرجي للمجال التقليدي للبحث الأنثربولوجي:

يشير كلود ليفي ستراوس إلى هذه النقطة بالقول:" من الناس من يعتقد أن الأنثربولوجيا مقضي عليها بالاندثار مع مادتها التقليدية التي نتناولها بالدراسة، وهي الشعوب البدائية، ولكي تظل الأنتربولوجيا على قيد الحياة فمن المفترض عليها أن تتخلى عن بحثها الأساسي، وتكرس نفسها لمشكلات الدول النامية من جهة وإلى الظواهر المرضية التي من الممكن ملاحظتها في مجتمعاتنا من جهة أخرى " وعلى ذلك برزت إلى الوجود الأنثربولوجيا التطبيقية إلى جانب استمرار مهام المجال الكلاسيكي للأنثربولوجيا، ومع ذلك لا يجب أن نقلل من الانقراض السريع المفزع لما يسمى بالشعوب البدائية في جميع أنحاء العالم. بالإضافة إلى خطر آخر يواجه البحث الأنتربولوجي يتمثل في أن بعض الشعوب في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ...إلخ كانت تتمتع دائما بكثافة سكانية مطلقة، هذه الكثافة تتزايد الآن، وهؤلاء السكان قد تجاوزوا مدى دراسة الأنثربولوجيا، لا بسبب أنها قد اختفت بل بسبب أنها قد تغيرت، فحضارتهم تطورت بسرعة في اتجاه النماذج الغربية، بالإضافة إلى العداء الذي ظهر بعد استقلال هذه الشعوب اتجاه الأنثروبولوجيين حيث بدأ اتجاه عدائي من جانب هذه الشعوب أو صفوتهم يعتبرون تقاليدهم القديمة وعقائدهم علاقة من علامات التأخر الحضاري التي يرغبون في تحرير أنفسهم منها بأسرع ما يمكن، ومن ثم فهم يوجهون اللوم للأنثروبولوجيين لاهتمامهم بهذه العادات، وإضفائهم قيمة وهمية عليها، وهذا ما شكل صعوبة كبيرة أمام الباحثين الأنثربولوجيين في قيامهم بأداء أدوارهم. [16]

2- صعوبات ترتبط بطبيعة المنهج الأنثربولوجي:

وهي تتمثل فيما يواجهه الباحث الأنثربولوجي في الميدان أو في مجال عمله الحقلي ومنها ما يرتبط بالمنهج الأنثربولوجي نفسه، وما يقتضيه من إقامة في منطقة أو مجتمع البحث (مخاطر الحيوانات – الأمراض ...إلخ) ولمدة طويلة.

ضرورة تعلم لغة الأهالي عندما تختلف عن لغة الباحث وغير ذلك، بالإضافة إلى العدوانية من طرف سكان بعض القبائل التي قد تصل إلى حد القتل مثل ما حدث لـ: مانجو بارك الذي قتل بالنيجر، وهيوكلا برتون وغيرهم.

بالإضافة إلى هذا فإن صعوبة تعلم لغة الأهالي وفك رموزها ومفاهيمها هي من أصعب المهام التي تواجه الباحث، فعادة عندا يزور الأنثربولوجي أفراد غرباء فإنه يكون لديه بعض التصورات

---

[15]- د. عاطف وصفي، المرجع السابق، ص 291-294.

[16]- د. عبد الله عبد الغني غانم، المرجع السابق، ص 186.

مثل (الله) و (القوة)، (العائلة) .... إلخ، قد لايجد لها نفس المعاني والدلائل عند المجموعة المدروسة وهذا يؤدي به إلى تفسير الظواهر المختلفة تفسيرا خاطئ. [17]

3- صعوبات ترتبط بشخصية الباحث ذاته:

هناك نوعان من الصعوبات ترتبط بشخصية الباحث تعترض البحث الأنثروبولوجي، وأول هذه الصعوبات – تنبع من ذات الباحث، وأعني به التحيز وعدم تحري الموضوعية، أما النوع الثاني من الصعوبات التي ترتبط بشخصية الباحث فتتمثل فيما يواجه الباحث الأجنبي يعاني – عادة – من مشاكل ترتبط بالأوضاع السياسية والاجتماعية، ومن الغريب أن يكشف مؤتمر عن المشاكل التي تواجهها البحوث الأنثروبولوجية في أمريكا اللاتينية عن أن المصاعب التي يعاني منها الباحث الزائر، وقد تبين – مثلا – أن عدم الاستقرار في أمريكا الوسطى يجعل من الخطر القيام بإجراء دراسة ميدانية، سواء كان القائم بهذا البحث باحثا أجنبيا أو محليا، ويشكل ما يسمى الآن بتسييس العلوم الاجتماعية عقبة كبيرة أمام الباحث الأنثروبولوجي، حيث تطلب بعض البلدان من الباحث الأنثروبولوجي أن يعبر بحثه أساس عن الولاء السياسي، وليس من السهل عموما أن يكون الباحث موضوعيا فيما يتعلق بالمسائل التي تهدد وتشوه الالتزامات السياسية أو غيرها من الالتزامات الاجتماعية، وعموما فإنه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة يتأثر الأنثروبولوجي، بالجو العلمي العام، كما أوضحت الدراسات الأنثربولوجية أن هناك مشكلة أخرى تحد من كفاءة الباحث الأنثروبولوجي، حيث تبين أن الظروف قد تفقد الأنثروبولوجيين قدرتهم – تماما – على الحركة، بحيث يصبح أي تدخل منهم ضارا جدا بعملهم كأنثروبولوجيين، فمثلا عندما تتوزع الجماعات الجماعية في مناطق محددة كل منها، على أساس أمني يصبح الأنثروبولوجيون غير مرغوب فيهم، سواء المحلي منهم أو الأجنبي الذي اتهم – دائما – بأنه نصيرا للاستعمار. [18]

وانطلاقا من هذه الصعوبات يجب على الباحث أن يراعي العديد من الاعتبارات أثناء بحثه وعند كتابته تقريره ومنها:

- مراعاة مستوى المبحوثين واتجاهاتهم وظروفهم المتغيرة في دراسة المجتمعات البدائية يجب أن تكون الأسئلة التي يطرحها الباحث على مبحوثه بسيطة وواضحة وأن لا تكون ساذجة أي أن يطرح الباحث سؤال عن ظاهرة يراها كل سكان المجموعة بديهية ومعروفة، كما يتجنب طرح أسئلة عن شخص ما في وجود سيده أو شيخ القبيلة أو شيخ كبير، ويلجأ الباحث إلى الأفراد ببعض الأشخاص ليسألهم حول نفس الأمر من أجل الوصول إلى مقارنات تعطي نتائج أدق وقد يلجأ الباحث إلى إثارة حماس الأفراد من المجموعة المدروسة من خلال التحدث معهم حول البطولات والأسلحة ... إلخ من يجرهم إلى الكشف عن ما يريد.
- مراعاة ما يطرأ على المجتمعات البشرية من تغير دائم: يجب أن ينتبه ويتذكر الأنثروبولوجي أن المجتمع الذي يبحثه يعيش في مرحلة تغير بما في ذلك المجتمعات البدائية التي تتمسك بتلك العادات والتقاليد التي ترى أنها أساس وجودها والحقيقة أنه لم يعد هناك مجتمع بدائي منعزل

---

[17]- د. عبد الله عبد الغني غانم، المرجع السابق، ص ص 189 – 190.

[18]- د. عبد الله عبد الغني غانم، المرجع السابق، ص 190.

تماما عن التحولات الكبرى التي يعرفها العام، خاصة بعد الثورة الصناعية والعلمية والتوسع الاستعماري للرجل الأبيض في كل القارات وما أحدثه من تحول في طبيعة حياة هذه المجتمعات. فعلى الباحث أن يميز بين ما هو أصيل وما هو دخيل في ثقافة وتصرفات وسلوكات هذه المجتمعات. [19]

كذلك فإن الباحث الأنثروبولوجي وهو يدرس المجتمعات الحديثة المحلية عليه أيضا مراعاة عدة متغيرات أساسية منها:

- مراعاة تقاليد المجتمعات، فيجب ألا يسأل عن أمور تتنافى مع قيم المجتمع وتقاليده.
- أن تكون الأسئلة التي يوجهها الأشخاص واضحة بسيطة، وأن يجزأ الموضوع إلى عدة موضوعات صغيرة متكاملة.
- أن تكون المصطلحات واللغة المستخدمة مرتبطة بالوقائع المختلفة للظاهرة الاجتماعية أو الثقافية. [20]
- أن يلتزم الباحث بالقوانين والعادات التي تحكم المجموعة وأن لايبدي معارضة لها طوال فترة تواجده داخل المجموعة المدروسة.
- يجب ألا يصدق الباحث أو يرفض ما ينقله الإخباري من معلومات وما يصدره من أحكام بل يجب أن يسجلها كما جاءت ثم في مرحلة لاحقة يحاول التأكد منها وتسجيل الملاحظات كما عاينها وأن لا يكتف بتسجيل الاستنتاجات لأنها قد تكون خاطئة. [21]

4- صعوبات ترتبط بتطبيق الطريقة الأنثروبولوجية في دراسة المجتمعات المعقدة:

إن الدراسات الكثيفة والواسعة التي أجريت على المجتمعات البدائية أو الشبه المنعزلة جعلتهم يتفقون على نمط عام في تحليل ودراسة المجتمعات البشرية والعمليات الاجتماعية المختلفة ويقوم هذا النمط على ثلاث ميكانيزمات هي:

أ- تفاعل نفس الأشخاص والمجتمعات في مواقف مختلفة، تفاعلا يجعل التزاماتهم تجاه جماعة معينة يؤثر في سلوكهم في مواقف أخرى وجماعات أخرى.

ب- تحليل العلاقة بين عناصر الثقافة من ناحية والعلاقات الاجتماعية من ناحية أخرى.

جـ- التأكيد على العلاقات المستمرة بين الأنشطة الاجتماعية في تلك المجتمعات المختلفة والمناشط الاجتماعية، فالأنشطة الشعائرية، والدينية والقانونية والسياسية على الرغم من اختلاف كل منها عن الأخرى، إلا أنها ت تبدو متداخلة ومترابطة ببعضها في أغلب جماعات ومواقف تلك المجتمعات، لدرجة أن كل نشاط يعتمد على غيره من المناشط.

ولكن الدراسات الأنثربولوجية الاجتماعية في مجال المجتمعات المعقدة (خاصة المجتمعات المعاصرة والحديثة) لم تحل جميع المشاكل المرتبطة بهذه المجتمعات، فالميكانيزمات التي استخدمتها

---

[19]- فرانسوا لابلاتين: مفاتيح الأثربولوجيا، ترجمة حفناوي عمامرية، مركز النشر الجامعي، تونس 2000، ص ص 19 – 20.

[20]- د. عبد الله عبد الغني غانم، المرجع السابق، ص ص 191 – 199.

[21]- د. عبد الله عبد الغني غانم، المرجع السابق، ص ص 200 – 2001.

تلك الدراسات لم تكن مؤثرة وفعالة، وأوضحت هذه الدراسات أن الأنماط المختلفة من الأنشطة الاجتماعية أو الشعائرية أو... إلخ في أغلب المجتمعات المعقدة غير مرتبطة ببعضها وغير متداخلة بقوة، كما هو الحال في المجتمعات المحدودة النطاق، فكل نمط من النشاطات يميل إلى أن يتبلور ويكون قالب أو إطار تنظيم، أو نظام مستقل بذاته، وهذا ما جعل من الصعوبة معرفة الوظيفة الدقيقة لأية جماعة داخل البناء الاجتماعي الكلي في المجتمعات المعقدة، أو معرفة الوظائف الكاملة التي تنجزها أية جماعة في المجتمع في المجالات السياسية والاقتصادية... إلخ.[22]

خاتمـــــــــة:

إن مارأيناه في بحثنا هذا من خصوصية تميز الانثروبولوجية بمناهجها وطرق وأدوات بحوثها تجعل منها علما واسعا يشمل مختلف التخصصات والعلوم ويأخذ منها لخدمة المعرفة العلمية الدقيقة والمتميزة بعمق التحليل والقدرة على التفسير الدقيق رغم كل ما حققته الانثروبولوجيا من تطور كبير من حيث أوعية البحوث المنجزة وتطوير للمناهج العلمية وتحديها للصعوبات التي تواجهها خاصة بتراجع المجال التقليدي لموضوع بحثها وهو المجتمعات البدائية فإنها تطور أكثر فأكثر ويوم بعد يوم لدراسة وفهم الإنسان في حياته العصرية بكل ما تحمله من تعقيد واتساع وانفصال للنشاطات والأدوار التي يقوم بها الفرد.

وهذا ما فتح الباب واسع أمام الباحثين الانثربولوجيين لتوسيع أبحاثهم ومعارفهم.

ونختم هذا بما أشار إليه المفكر تلود ليفي شراوس حول مستقبل الانثربولوجيا: « ... لكي تظل الانثربولوجيا على قيد الحياة، فمن المفروض عليها أن تتخلى عن أبحاثها الكلاسيكية، وتكرس نفسها لمشكلات الدول النامية من جهة، وإلى الظواهر المرضية التي من الممكن ملاحظتها في مجتمعاتنا من جهة أخرى ... ».

---

[22]- إ. يقنز برتشار، المرجع السابق، ص ص 106 – 107.

قائمـــــة المراجـــــع

1- جاك لومبار: مدخل إلى الأنثروبولوجيا، ترجمة حسن قبيسي، الطبعة الأولى 1997 المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب.

2- د. عاطف وصفي: الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت 1971.

3- فرانسوا لابلاتين: مفاتيح الأنثروبولوجيا، ترجمة حفناوي عمامرية، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000، ص 07.

4- د. محمد عبده محجوب: مقدمة في الأنثروبولوجيا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1987.

5- د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان: الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2003.

6- د. محمد حسين غامري: مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

7- د. عبد الله عبد الغني غانم: طرق البحث الأنثربولوجي، الطبعة الأولى، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2004.

8- إ. يقنز بريتشارد: الأناسة المجتمعية وديانة البدائيين في نظرية الأناسيين، ترجمة حسن قبيسي، الطبعة الأولى، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1986.

9- د. ميلود سفاري: أساسيات في منهجية وتقنيات البحث في العلوم الاجتماعية، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، 2006/2005، ص 06.

10- نخبة من اعضاء هيئة التدريس: مدخل الى الانثروبولوجيا (علم الانسان) ، تحرير: د.مصطفى عمر حمادة.الناشر عالم المعرفة الجامعية – الاسكندرية – مصر – 2011

11- Jean Lopans: L'enquête ethnologique de terrain/11, édition: claire_ hemmaut.1998.

12- http://www.moefporum.net/vb1/showthead.php?t=4882&/12